الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح –ورقلة–
كلّية الآداب واللغات
قسم الأدب العربي

رثاء الأطفال والنساء في نهاية الأندلس
دراسة أسلوبية

مذكرة تخرج من متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي في اللغة العربية
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبات:

- ✓ اليامنة شريفة حنشي
- ✓ حليمة صياد

إشراف الدكتورة :
أ.د : نجلاء نجاحي

السنة الجامعية:1442 هـ -1443هـ /2021م-2022م

* * * شكر وعرفان * * *

يسرنا أن نتقدم بالشكر الجزيل بعد الله تعالى للمشرفة الفاضلة

" نجلاء نجاحي"

التي كان لها الفضل الكبير في توجيهنا لهذا البحث.

والشكر موصول لجميع الأساتذة بالكلية لما قدموه من جهد

وجميع الزملاء والزميلات.

كما نخص أسرنا الكريمة التي رعتنا ونحن رهينة أقلامنا وأوراقنا

والتي أمدتنا بالعزيمة

والشكر موصول أيضا لجميع المكتبات التي وفرت المزيد من المراجع.

rawpixel

* * * الإهداء * * *

إلى ملاكي في الحياة وبسمتي إلى من رافقني طوال مشواري الدراسي

إلى من أعطاني الحب والحرية وعلمني القيم والأخلاق: أبي حبيبي علي

إلى نبع الحنان ومن تحت قدميها الجنان إلى بلسم جراحي وسر نجاحي

ستبقى كلماتها نجوم أهتدي بها إلى الأبد :أمي الغالية عائشة

إلى إخوتي حنين ونهال ومحمد وعبد الرؤوف من شجعوني إلى طريق

نجاحي

إلى أعز الناس وأقربهم إلى صديقاتي زينب وأولادها، عائشة بن خيرة

أصالة غباشي، عفاف حمي، حليمة صياد، إلى حبيبتي أسينات

والشكر الأخير لخالتي رابحة

وشكرا لكل من ساعدني في إتمام هذا العمل

حنشي اليامنة شريفة

* * * الإهداء * * *

إلى من سهرت على راحتي وحملت همومي

أمي الغالية

إلى من أزال العقبات وذلك الضباب في طريق حياتي

إلى مصدر فخري كفاني فخرا أن يكون

أبي الحبيب حفظه الله

إلى من تعلمت أن الحاضر هو ثبات لذاتي وأن الغد هو ثمرة أمنياتي

إخوتي

وإلى كل مَن له خير من نفسي

حليمة صياد

مقـدمـــــــة

مقدمة

الرثاء من الأغراض الشعرية المعروفة والواسعة النظم قديما وحديثا، فهو باق لا يفنى مادام الإنسان كائنا حيًا له علاقات وروابط مع الآخرين يعيش خضم الحياة ويعاني من مشاكلها ويفجع لمصائبها، ومادام هناك موت وفناء يعقبان الحياة ويعدمان الموجودات فهو من الأغراض الإنسانية التي تتطلب المشاركة الوجدانية والانفعالية معا بغض النظر عن كون المرثي شخصية سياسية ملكا أو أميرا، وهو ما يسمى بالرثاء النفعي الذي تكون فيه المشاركة الوجدانية القصد منها إظهار الحزن ومشاركة أهل المرثي والتقرب لهم والتودد إليهم.

وهناك الرثاء الذاتي (الشخصي) وهو رثاء الأهل والأقارب ومنه رثاء الأبناء ولا يختلف اثنان في مدى العاطفة والمشارع والأحاسيس التي يحملها الراثي تجاه المرثي، ولا سيما إذا كان الراثي الأب والمرثي الابن، وتكثف غرض الرثاء مشاعر الحزن والألم ولكن ثمة محاور تدور حولها المرثية سواء كانت قصيدة أو مقطوعة تحمل هذه الأفكار أو بعضا منها، ففي بنية الوعي الإنساني يوجد عنصر التعاطف مع الآخر عبر تحسس ألم هذا الآخر في داخل الأنا، أي من خلال قدرة الأنا على افتراض ذاتها خاضعة للآلام نفسه أو غرضه للمصير نفسه، وفي باب هذا التحسس يدخل شعر الرثاء وذلك بوصفه موقفا ذاتيا من ظاهرة وهي موضوعية وذاتية في الوقت عينه أنه ولوج الآخر وحالاته عبر الوجدان الذي نملك أن نتصوره كثقب في الطبيعة الإنسانية يسمح للإنسان أن يعبر إلى الداخل ومن الداخل في آن معا، ولأن أية تجربة أدبية أيا كان بناؤها تنشأ في بدايتها فعلا طبيعيا للتصور الذاتي والعاطفي والاجتماعي وقصيدة الرثاء كانت في نشأتها الأولى تمثل رد الفعل الطبيعي للمأساة البشرية في موقف الموت.

فمن القصائد التي نتناولها بالدراسة قصيدة الشاعر ابن الجياب وابن فركون ويوسف الثالث ولا يمكن أن ننسى الجزء الخاص برثاء النساء والأمهات والوجيهات وغيرها ونُظم في هذا الغرض عدة قصائد ضمنوها موضوع رثاء الوجيهات ، ومن بين الشعراء الذي عرفوا بموضوع النساء : ابن الخطيب ، ويوسف الثالث، أما موضوع رثاء الوجيهات فقد عُرف به ابن الخطيب.

ولعل من أبرز ما يميز هذا اللون من الرثاء صفاء العاطفة، وصدقها، وحرارة الانفعال وعمق التوجع، وماذا ننتظر من شاعر فقدَ ابنا من أبنائه أو زوجته غير أن يصرخ وينتحب

ويصاب بالذهول، ويلعن الأقدار القاسية وينظم شعرا حزينا موجعا، وما اهتمام الشعراء بالرثاء إلا لأنهم كانوا يجدون في رثاء ذويهم وأحبائهم وأصدقائهم وسيلة لإزالة الأحزان وترويح القلب ولهذا قسمت هذه الدراسة إلى :

تمهيد : تناولنا فيه الرثاء في الشعر العربي وخاصة الشعر الأندلسي ثم اتجهنا إلى تعريف الرثاء وتقديم مفهوم عنه لغة واصطلاحا ثم تقديم خصائص فن الرثاء في الشعر العربي وأنواع الرثاء ، وفي الجزء الآخر تعرضنا إلى خصائص وأعلام فن الرثاء في نهاية العصر الاندلسي

أما الفصل الأول تحدثنا فيه عن رثاء الزوجات في أشعار كل من : الملك يوسف الثالث وابن الخطيب، ورثاء الوجيهات أيضا تناولنا تحليل نموذج من الشعر لابن الخطيب.

و أما الفصل الثاني: فقد كان مخصصا لرثاء الأطفال وتقديم نماذج حوله من أشعار ابن الجياب والملك يوسف الثالث، وابن فركون مع ذكر الخصائص الفنية والأسلوبية لهذه المراثي

وموضوع هذا البحث **(رثاء الآباء لأبنائهم ونسائهم في الشعر العربي والأندلسي)** موضوع يستحق الدراسة إذ أنه يعالج موضوع العاطفة الجياشة وصدق المشاعر.

أسباب اختيار الموضوع:

- الإعجاب الكبير بهذا الموضوع، لأجل التعريف به على مستوى واسع.
- عدم وجود الكثير من الدراسات السابقة اختصت بالبحث في هذا الموضوع
- بيان ذلك الزخم الصوتي والأسلوبي الذي تزخر به هذه المراثي ، خاصة و أنها ترتبط بواقع الأنلس ومأساتها .

وقد تمثلت أهداف البحث في :

- تسليط الضوء على هذا الغرض لأنه قليل جدا في الشعر العربي عموما ، والشعر الأندلسي خاصة

– تبين الأثر العاطفي الذي خلّفه رثاء الآباء لأبنائهم وزوجاتهم.

منهج البحث:

– اعتمدنا المنهج الأسلوبي بمستوياته المختلفة لحاجة البحث لذلك.

الصعوبات:

واجهتنا العديد من الصعوبات ونحن في طريق البحث، ومنها قلة المصادر والمراجع ، وكذا صعوبة الحصول على المدونات كاملة ، إذ أن أكثر هذه المراثي مبعثر في المصادر المختلفة ، خاصة تلك التي اهتمت بالأدب الأندلسي في عصر المأساة .

.

الدراسات السابقة:

– حسناء بوزويتة الطرابلسي : حياة الشعر في نهاية الأندلس للدكتورة ، وهذا الكتاب كان أصلا رسالة دكتوراه .

– نجلاء نجاحي: براعة الاستهلال في مراثي الأطفال في نهاية الأندلس "ابن جياب والملك يوسف الثالث"، س:5–7 يونيو 2020، المؤتمر الدولي الثاني عشر للغات والدراسات الثقافية و اللغوية .

– يمن عبد الله صباح الخير بلال : رثاء الآباء لأبنائهم في الشعر العربي

مـــدخـــــل

1- تعريف فن الرثاء:

أ- لغة:

"الرثاء فن من فنون الشعر العربي، يجمع بين صدق العاطفة ورقة المشاعر، وبين سعة الخيال وحقيقة الواقع المؤلم والمحزن، فهو مزيج من القيم الفطرية في الإنسان، تتفاعل في أعماقه فتضطرب من شدة المعاناة عند فقده لحبيب أو عزيز لديه، تجهش حينها الخواطر، وتهتز النفوس"[1].

حيث أنه ارتبط بالمعنى اللغوي لرثاء الميت والبكاء وهو مصدر من فعل رثى، فنقول: " رثيت الميت رثيًا، ورثيا ومرثاة، ومرثية". ويدل الفعل رثى على التوجع والإشفاق.

وأخذ مدلول الرثاء يرتبط بالقصيدة الشعرية، يقول ابن فارس: "إن الراء والثاء والحرف المعتل أصل على رقة واشتقاق قال: رثيت لفلان: رققت، ومن الباب قولهم: رثى الميت الشعر ومن العرب من يقول: رثأت وليس الأصل"[2] ، فالرثاء من أقدم أغراض الشعر عند العرب ، بل عدّه النقاد أحد أركان الشعر الأربعة التي يبنى عليها الشعرو المتمثلة في المدح والهجاء والنسيب و الرثاء .

ب-اصطلاحا:

هو أحد فنون الشعر العربي البارزة والمعروفة، بل ويتصدرها من حيث صدق التربة، وحرارة التعبير والمشاعر، ودقة التصوير والشبه، وهو أيضا التفجيع على الميت وذكر مناقبه

---

[1] – محمد عبد القادر، حسن الغنيم: رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: كلية الدراسات الشرقية، جامعة البنجاب لاهور باكستان، دس، ص34.

[2] – يمن عبد الله صباح ، الخير دلال: رثاء الآباء لأبنائهم في الشعر العربي (العصر بين الأموي والعباسي)، يونيو 2014، دط، ص02.

ومحاسنه والتأثر بمآثره، وهو أصدق الأغراض الشعرية من حيث الشعور والعاطفة ودقة تصوير التفاصيل وقد وردت في تاريخ الأدب العربي ثروة ضخمة من المدونات الرثائية ، وتعددت هذه القصائد وتوزعت وفق المرثي والراثي.

2- خصائص فن الرثاء في الشعر العربي:

لا يمكن للشاعر أن ينتج قصيدة رثائية جيدة إن كان المرثي ليس له علاقة مباشرة معه فيجب أن يكون كلام الشاعر نابعا من القلب حتى ينتظم معه الكلام والوزن الشعري بشكل جميل يعطي للقصيدة رونقا خاصا بها كونها نظمت لأجل رثاء شخص له علاقة وارتباط عاطفي مباشر مع الشاعر

لهذا يتميز الرثاء بالعديد من الخصائص والمميزات، منها:

- بث الشاعر لحزنه وشكواه إلى من يسمعه.
- الحرص على إيصال المعنى والإحساس قصد المشاركة الوجدانية .
- ثناء الشاعر ومدح الميت وذكر وتعداد خصاله الحميدة.
- يحمل الكثير من المشاعر الصادقة والمؤثرة في النفس.
- عدم التصنع في الشعر حتى لا تخرج القصيدة عن مغزاها الأساسي وهو رثاء الميت.
- تستهل القصائد الرثائية غالبا بمخاطبة العين، وطلب البكاء منها على فراق الميت.
- ثناء الشاعر ومدحه لفقيد أو فائت أو مفارق لهذه الحياة.

3- أنواع الرثاء:

يُقَسّم شعر الرثاء إلى ثلاثة أنواع رئيسية، كالآتي:

أ- **الندب:** وهو بكاء الميت بالألفاظ الحزينة التي تذيب القلوب والعيون، يولول فيها الشاعر وينتحب ويسكب الدموع حزناً على ما فقد، من أحبته وأقاربه، " فهنالك علاقة بين الندب والرثاء علاقة وطيدة ووجود هذا القرب في المعنى المجازي والرابطة الوثيقة التي تربطهما في البكاء الحار والحزن الشديد بفراق الأحبة مما يضفي على هذه الرابطة من عاطفة إنسانية نبيلة مشتركة عند الراثي والنادب"[1].

فقد ضمّ النّدب أنواعاً متعددة، فندب الشاعر أهله وأقاربه، ونفسه، والرسول عليه السلام والدول والبلدان الضائعة.

ومن شعراء الندب نذكر الخنساء في رثاء أخيها صخر، ومُتمّم بن نويرة وأبا تمام، ومالك بن الرَّيب، وأبا نواس، وأبا البقاء الرُّندي، وشمس الدين الكوفي.

ب- **التأبين:** "فقد كان من عادة العرب في الجاهلية الوقوف على قبور الأموات وذكر مناقبهم وتعداد فضائلهم ومحامدهم، وشاع ذلك عندهم ودار بينهم، وأصبح في سننهم وعاداتهم، وكانوا يقفون على القبور كأنهم يريدون أن يحتفوا بذكر الميت على مر السنين، كما كانوا يقفون على قبور الأشراف والأسياد ممن عرف بالكرم والشجاعة والسيادة فيضمونها لأشعارهم"[2].

ج- **العزاء:** يعني الصبر، لكن في الشعر اقتصر معناه على الصبر في كوارث الموت وأن يرضى الفاقد بالقضاء والقدر. وقد بدأت جذور هذا النوع من الرثاء منذ العصر الجاهلي حيث كان الشاعر يحزن على ما فقده، ويبكي على خسارته، ويُعبّر عن مشاعره بشعره المليء بمشاعر اللوعة والأسى.

---

[1] – محمد عبد القادر حسن غنيم: في رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات الشرقية ، جامعة البنجاب ، لاهور ذ، باكستان ، د ,ت ، ص41.

[2] – نجلاء نجاحي: براعة الاستهلال في مراثي الأطفال في نهاية الأندلس "ابن جياب والملك يوسف الثالث"، س:5-7 يونيو 2020، المؤتمر الدولي الثاني عشر للغات والدراسات الثقافية و اللغوية ، تركيا ، ص951.

نظم الشعراء جميل أبياتهم في عزاء الأهل من الآباء والأبناء، إلا أنّ العزاء في البنات كان شبه معدوم، وارتبط العزاء بالتّهنئة، كما ارتبط بالحديث عن الحياة والموت والخلود.

أشهر من نظم في هذا النوع من الرثاء هو المتنبي، وأبو العتاهية، وحافظ إبراهيم، والبحتري وكشاجم، وغيرهم الكثير.

4- فن الرثاء في نهاية الأندلس؛ الخصائص والأعلام ودواعي ظهوره

عرفت الأندلس منذ عهد مبكر بالرثاء، ولكنه رثاء مخصوص، ارتبط بواقعها وموقعها كثغر ناءٍ متاخم لدار الكفر، دار الحرب، وقد اصطلح عليه برثاء البلدان ولعله إلى التفجع على الأوطان أقرب فقد بدأت الثغور والعواصم تسقط منذ أواسط القرن الخامس[1]، وطفقت أشعار البكاء والتفجع تبرز وتتكاثر وقد أبدع شعراء الأندلس في هذا المجال كابن الأبار (1260/659) في سينيته وأبي القاسم الزندي (9285/684) في نونيته، ولعل أهل إفريقية منذ نكبة القيروان وأهل الأندلس قد ارتقبوا بهذا الصنف من الأشعار بما حسنوا فيه وأبدعوا، حتى جعلوا منه فنا من فنون الشعر. على أن وجود هذا الفن الجديد من الرثاء بالأندلس لم يحل دون بقاء الغرض القديم قدم الشعر العربي، وهو رثاء الأشخاص.

والرثاء من أقدم فنون الشعر عند العرب بل لقد عدّه القدامى ركنا من الأركان الأربعة التي بني عليها الشعر، ذلك أنه مرتبط بفجيعة الموت وما تحدثه في نفوس الأحياء من صدوع تفجر آلاما لا تملك النفس البشرية إلا أن تترجمها معاني تذوب لوعة وتفجيعا سواء كان الفقيد قريبا عزيزا، أو ملكا رئيسا لذلك اشترط في الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطا

[1] – حسناء بوزويتة الطرابلسي : حياة الشعر في نهاية الأندلس، دار محمد علي الجامعي، 40 شارع الشابي 3000، صفاقس، تونس، ط1، أوت 2001، ص293.

بالتلهف والأسف والاستعظام، وقد عدا القدماء التفجع عنصر أساسي في المرتبة إذ فيه تظهر لوعة الأسى وحرقة الفقدان.

وقد توارد على غرض الرثاء شعراء العربية وشواعرهم منذ الجاهلية حتى العصر الحديث، وإن برع فيه البعض دون البعض الآخر واشتهرت فيه قصائد دون أخرى ولم يشذ شعراء الأندلس عن هذه القاعدة قد رثوا مثلما مدحوا وتغزلوا.[1]

وقد تفاوت شعراء القرنين حظا فيه واهتماما به فمنهم من أولاه عناية كبرى، ونظم فيه عديد النصوص من قصائد ومقطوعات مثل يوسف الثالث خصّ بها الزوجة والأخ والأبناء، وقد مُني بفقدهم فكان رثاؤه رثاء الأقرباء، ومنهم من كان به متوسط الاعتناء بالقياس إلى ضخامة شعره جمع فيه بين الصنفين رثاء الوجهاء ورثاء الأقرباء وهو ابن الخطيب، ومنهم من كان أقل به اهتماما إذ كانت هموم الحياة والأحياء تشغله عن التفكير في الموت والأموات إلا لمالما وهو عبد الكريم القيسي، ومنهم من أهمله إهمالا تاما مثل ما أهمل جلّ الأغراض المتعارف عليها واختار طريق القطيعة والانفصام من جهة والاختراع والابتكار من جهة أخرى وهو ابن خاتمة، ومنهم من اتخذ منه أداة للتقرب إلى الوجهاء وذوي السلطة ووسيلة للحفاظ على مناصبه السياسية فكان رثاؤه مركزا على رثاء الوجهاء باستثناء قصيدتين في رثاء ابنه أبي القاسم.

وقامت المرثية الأندلسية على صنفان: صنف أول وهو الأغلب كانت فيه الرتبة مطولة يمكن أن نعدها كشكولا من القصائد لا قصيدة واحدة على غرار مراثي ابن الخطيب وابن الجياب وصنف إلى الندبة أقرب يتميز بالقصر ويرتكز على التفجع والتعديد وتمثله معظم مراثي يوسف الثالث.

وقد قسّمنا المراثي التي قالها من اهتم بالرثاء من شعراء المدونة ثلاثة فصول هي:[1]

[1] – حسناء بوزويتة الطرابلسي : ححيلة الشعر في نهاية الأندلس ، المرجع السابق، ص: 294.

– رثاء الوجهاء: وفيه قال ابن الجياب وابن الخطيب وابن فركون.

– رثاء النساء: وهو مقصور عل يوسف الثالث خاصة وساهم فيه ابن الخطيب بمرثيتين.

– رثاء الأطفال: ونظم فيه كل من ابن الجياب ويوسف الثالث وابن الفركون وعبد الكريم القيسي.

[1] – المرجع نفسه، ص295.

الفصل الأول

فن رثاء النساء وخصائصه

تمهيد:

بكى الشعراء الأندلسيون على زوجاتهم وذرفوا عليهن الدموع، وأرفقت أصواتهم وراءهن ضيق وبكاء مرفق بالآهات الحزينة، والزفرات الحارة.

"وغالبا ما يتصل بكاء الزوجة بالبكاء الذي يمتد من فقد الزوجة بالطلاق إلى فقدانها بالموت، وهو لون ذاتي خاص يعتمد عل ميل أصيل في نفس الشاعر إلى البوح، كأنه ترجمة ذاتية قصيرة"[1].

ومن المراثي النساء عندنا مراثي يوسف الثالث في زوجته ومرثيتين لابن الخطيب واحدة في زوجته وقد فقدها في منفاه الأول بالمغرب والأخرى في (الحرة السلطانية) جدة أبي الحجاج يوسف الأول فالصنف الأول من رثاء (القريبات) والثاني في رثاء (الوجيهات)[2].

[1] – عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1974، ص12.

[2] – حسناء بوزويتة: المرجع السابق، ص318.

1- نماذج لرثاء الزوجة:

أ- ابن الخطيب في مرثية زوجته:

قدم ابن خطيب بمقدمة نثرية مؤثرة تدل على شدة وقع المصيبة في نفسه وعلى المكانة التي كانت في قلبه، إذ قال طرقني ما كدّر شربي ونقّص علي من شدة وقع المصيبة في نفسه وعلى المكانة التي كانت للفقيدة في قلبه.

ولكن القصيدة كانت دون المنتظر ولم تف بما وعد به التقديم النثري، بل كان الخيال فيها ضحلا والكلام مباشرا وكأنه يؤدي به ضريبة، فالفقيدة لم تلهمه شعرا ذا قيمة لا في المعنى ولا في المبنى، ويمكن أن نقول إنها أضعف مراثيه[1].

تتضمن قصيدته احدى عشر (11) بيتا، وفي قول [المنسرح].

رَوَّعَ بَـــالِي وَهَـــاجَ بَلْبَـــالِي وَسَـــامَنِي الثَّكْـــلَ بَعْـــدَ إقْبَـــالِ
ذَخِيرَتِـــي حِـــينَ خَـــانَنِي زَمَنِـــي وَعُـــدَّتِي فِـــي اشْـــتِدَادِ أَهْـــوَالِ
حَفَـــرَتُ فِـــي دَارِيَ الضَّـــرِيحَ لَهَـــا تَعَلُّـــلاً بِالْمُحَـــالِ فِـــي الْحَـــالِ
وَغِبْطَـــةً تُـــوهِمُ الْمُقَـــامَ مَعِـــي وَكَيْـــفَ لِـــي بَعْـــدَهَا بِإِمْهَـــالِ
سَـــقَى الْحَيَـــا قَبْـــرَك الْغَرِيـــبَ وَلاَ زَالَ مُنَاخَـــاً لِكَـــلِّ هَطَّـــالِ

***التحليل الأسلوبي لقصيدة ابن الخطيب:**

من بين أهم خصائصه الأسلوبية من حيث اللغة:

- **الألفاظ والتراكيب:** استخدم الشاعر ألفاظ صادقة تعبر عن صدق حالته العاطفية وحزنه الشديد في رثاء زوجته المتوفية.

[1] - حسناء بوزيتة: المرجع السابق، ص318.

– اعتمد الشاعر في قصيدته على الجمل الخبرية للتعبير عن العلاقة بزوجته.

ولما صوره من صدق عاطفته فقد كانت نابعة من القلب.

كما استخدم الشاعر أسلوب بالمدح في قصيدته حين قال "قد كنتي مالي لما اقتضى زمني".

–**المحسنات البديعية:** ورد في القصيدة من أبياتها استخدام بعض ألوان البديع مثل:

التصريع: ورع، هاج.

الطباق: سرعتي إعجالي.

ونجد أن الشاعر باستخدامه هاته المحسنات البديعية استخدمها لعفوية دون تكلف وذلك للتعبير عن حالته العاطفية الصادقة وتوضيح المعنى.

– **التصوير الفني:** اعتمد الشاعر في قصيدته على التصوير الفني وتوظيف الاستعارة منها المكنية والتصريحية وأيضا الكناية.

* **الاستعارة المكنية:** في البيت الثاني في قوله: " ذخيرتي حين خانني زمني" شبّه الزمان بالصديق أو القريب الذي يخون وترك قرينة دالة عليه (خانني) على سبيل أنها استعارة مكنية ، وأيضا استعارة في البيت الأخير: "سقى الحياء قبرك".

* **الكناية:** "حفرت في داري الضريح لها تعللا بالمحال في الحال".

– التزم الشاعر بوحدة الوزن والقافية اقتداءًا بالشعراء السابقين.

ب- مرثية يوسف الثالث لزوجته:

-النموذج الأول:

إن مراثي يوسف الثالث في زوجته تؤكد تغيير العقلية التي على ماكان عليها من تقاليد الشعر العربي بداية من القرن الثاني من حرج في ذكر اسم المرأة، أو حتى الإفصاح من كوهنها الزوجة.

وفي نموذج قصيدته في رثاء زوجته يقول:

أحقـــاً أن رحلـــت فـــلا إيـــابُ وأنَّـــا إنْ ســـألنا لا نجـــاب
أوحشـــتُنا بهـــا قضـــت الليـــالي أفرَقتنـــا بهـــا ســـبقَ الكتـــاب

*** تحليل الأسلوبي للنموذج:**

1-الألفاظ والتراكيب: ألفاظ صريحة تأكيدا عن صدق حالته العاطفية لفقدانه لزوجته، استخدم ألفاظ سلسة متأثر بفقدانها.

2- الأساليب الخبرية والإنشائية: اعتمد على الجمل الخبرية والإنشائية للتعبير عن معاني الحزن التي تدور في نفسه، بحيث نجد أنه بدأ بالتفجيع دون مقدمات التي تكرر الاستفهام فيها ليؤكدها في البيتين، بدأ قصيدته بـ(أحقا؟) وهذه العبارة ضمن الاستفهام، حيث أنها شكلت مدخلا في الاستهلال تقليديا ولكنه خالي من الابتذال و"ذلك لما فيه من التشكيك في وقوع الحدث"[1].

أما البيت الثاني فقد كان مؤكدا بالحقيقة (أوحشتُنا بها قضت الليالي**أفرَقتنا بها سبقَ الكتاب)

[1] - حسناء بوزويتة: المرجع السابق، ص321.

3- الأسلوب الصوتي: نجد أن الشاعر التزم بوحدة القافية والوزن.

-النموذج الثاني:

أحقــاً يعــود الشــعل بعــد شــتاته جميعـا ويحــي الأنــس بعـد مماتــه
ويــــنعم بالســــلوان قلــــب مقلــــب ويـألف بفـن العـين بعـض سـناته

*** التحليل الأسلوبي للنموذج:**

- توظيف أسلوب استفهام (أحقا؟)، ولكن هذا التشكيك فيه إضافة فهو ليس تشككا في حقيقة الموت كما في القصيدة السابقة.

- تأتي الكتابة في محلها فتمكن الشاعر عرض الإحياء بجمال الفقيدة وكونها ماتت في ريعان الشباب.

- تنوع المعاني والأساليب من ترديد إلى تعديد، من رموز إلى إيحاء.

- أساليب إنشائية وبلاغة متنوعة.

- استعمل الرمز كسعاد وسلمى، فكلها رموز على غرار ما نجد في الغزل.

- إن التخيل في أبياته السابقة، يتسائل بألم عن المكان التي غادرته إليه تلك الزوجة الغالية وهو القبر، حيث يعلم أنها لن تعود إليه بعد أن بعدت إلى غير رجعة... [1]

[1] - حسناء بوزويتة: المرجع السابق، ص322.

ج- رثاء الوجيهات:

إن من مراثي في هذا المجال من كتبوا فيه لا يوجد لدينا سوى نص واحد وقد تعمق فيه فهو مرثية ابن الخطيب في جدة أبي الحجاج يوسف الأول: فقد قال عنها ابن الخطيب: "جدة أمير المسلمين أبي الحجاج، وولديه أميري المسلمين أبي عبد الله وأبي الجيوش وبنت أمير المسلمين أبي عبد الله محمد الثالث وحافدة أمير المسلمين الغالب بالله"[1].

نجد أن ابن الخطيب كانت نظرته لها مطابقة لنظرة المتنبي وكأنه أحالها من عنده لأم سيف الدولة الأول، حيث بدأ بالتأمل والسير على نهجه خطوة خطوة إلى مناجاة الفقيدة: إذ يقول:

نبتُ على علم يقين من الدهر ونعلم أن الخلق في قبضة القهر
ونركن للدنيا اغترارا بلهوها وحسبك من يرجو الوفاء من القدر
ونُغرَى بما يفنى المطامع والهوى ونرفض ما بقي في ضيقة العمر[2]

إن الإنسان عندما يغتر بالدنيا ينشغل بها فنأمل الذي وجدناه في القصيدة هذه مبني على الصراع الشخص مع الدهر، فهذه كلها معاني وجدناها أو أغلبها في الشعر الديني وفي الشعر الرثاء.

استخدم الخيال هنا الشاعر مطيلا في قسم التأمل والاعتبار. مبرزا غفلة الإنسان عن الموت الذي لا يثنيه.

[1] – حسناء بوزويتة: المرجع السابق،ص: 327.

[2] – المرجع نفسه: ص: 327.

الفصل الثاني

رثـــــــاء الأطفال

فقد الأحبة غربة والغربة المقصودة هي غربة الروح لا الجسد وهي أقصى أنواع الوجود تكون حاضرا غائبا في الوقت ذاته ، ولما كان الابن قطعة من كبد أبيه ويفديه بالغالي والنفيس ويؤهل عليه المستقبل وقد جاء أن موت الولد صدع في الكبد لا ينجبر لآخر الأمد ، فكيف فعل الشاعر الأندلسي وهو يرى فلذة كبده يجود بنفسه، ويفارق الحياة ويتركه وحيدا، فهل سيصبر نفسه ويعزيها... بالأمم السابقة والوعول الممتنعة في قلل الجبال، أم أنه سيقف موقفا مغايرا جاعلا من شعراء المشرق العربي قدوة له"[1]، فقد حظي موضوع رثاء الأبناء بأهمية كبيرة في الشعر الأندلسي، وهو من الموضوعات الشيقة والحافلة بمميزات أسلوبية مهمة فلا يكاد يخلو ديوان شاعر أندلسي منه، وكان من أهمهم ابن الجياب والملك يوسف الثالث وابن فركون وقد عبّر كل شاعر منهم في مراثيه عن مرارة حزنه لفقده فلذة كبده فجسدت بصدق واقع الأسى والحزن الذي خلفه هذا الفقد[2].

كان الشعراء يرثون أبنائهم الذين كانوا لهم أهمية ودور كبير في قبائلهم وفقدانهم الذي خلّف فراغا بين أسرهم، حيث يفتقدون السكن والعون ويغيب سندهم في الحياة، فالأطفال لهم وزن عظيم فيها وفي المجتمع، ففقدان الابن يوّلد انكسارًا للأب ينتج عنه جرح لا يطيب ولا يجبر، فالأبناء هم زينة الحياة الدنيا بوجودهم تحلو الحياة وبفقدانهم تسوّد، وتبعث القلب على الحزن والنفس على الأسى.

"مما لا شك فيه أن حب الأبناء لا يعلوه حب آخر عند آبائهم، وقد جعل الله الأبناء زينة الحياة الدنيا، وهم فتنتها كذلك وقد أودع الله سبحانه وتعالى قدرا كبيرا من العطف والرحمة في

[1] – مهدي عواد الشموط: الرثاء في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين: كلية الدراسات العليا، جامعة الأردنية، 2010، ص22.

[2] – نجلاء نجاحي: المرجع السابق، ص948.

قلوب الآباء والأمهات وزودهما بشحنة هائلة من الحنان تملأ قلب الأم والأب، وقد جعلهم الله محل ابتلاء ومحنة للآباء، فمن صبر واحتسب نال الثواب، والجزاء عند الله فعندما ابتليت أم موسى عليه السلام بقدر التفريق بينهما وبين وليدها فكادت ألا تطيق هذا، ويقتلها الحزن عليه، فإن الله سبحانه وتعالى قد ردّه إليها لتقر عينيها، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. والحقيقة يظل الأبناء يمثلون هذه المكانة الرائعة من الحب والحنان وأثره لدى الوالدين، ومهما كانت منزلتهما الاجتماعية، يظل الولد قريبا من قلبهما ويملأ الدنيا عليهما سعادة، إن كانوا أغنياء أو فقراء حتى ولو كان الولد فارسا أو جبانا أو كان سليما معافا أو كان سقيما مريضا فيظل للولد المنزلة التي لا تدانيهما منزلة أخرى حتى لو كان مشلولا أو مجنونا"[2].

"وقد تميز بناء القصيدة العربية في الأندلس بخصوصية جعلته يختلف عن بناء باقي القصائد في شتى الموضوعات فانفردت في الجانب الشكلي والبنائي بفن الموشحات والأزجال وفي جانبها الموضوعي شاعت الأغراض القديمة ولكن بنفخة روح جديدة كالمدح والهجاء والغزل وشعر الطبيعة والرثاء، وقد تأثر الشعر الأندلسي في بداياته بالشعر العربي المشرقي، باعتبار هذا القطر كان امتدادا سياسيا وحضاريا للمشرق العربي، فكان من المنطقي أن نجد البدايات الأولى لشعر الأبناء تنصب في إطار التقليد لما كان سائد في المشرق وتيسر الدراسات إلى أن أول من ذكر الأبناء في الشعر الأندلسي ما نجده في أبيات قالها "عبد الرحمان الداخل"[3] في الشوق على أهله بأرض الشام ذاكرا زوجته وابنه الطفل:

---

[1] – سورة القصص، الآية16

[2] – محمد عبد القادر حسن: المرجع السابق، ص143.

[3] – نجلاء نجاحي: المرجع السابق، ص953.

تبـدت لنــا وسـط الرصــافة نخلــة ثنـاءت بـأرض الغـرب عـن بلـد النخـل
فقلـت شـبيهي فـي التعـرب والنـور وطول الثنائي عن بني وعن أهلي[1]

وموضوع حضور الأطفال في الشعر الأندلسي إحدى المميزات التي طبعت القصيدة الأندلسية وأكسبتها خصوصياتها لذا فالفهم الدقيق لبناء القصيدة في هذا العصر، وإدراك أبعادها الموضوعية والفنية والجمالية، يقربنا من الإحاطة بخصوصية شعر الأبناء ومميزاته، ونقاط الاختلاف والالتقاء بالشعر المشرقي؛ إذ أن هناك مجموعة من العناصر التي تسهم في فاعلية الإبداع ورفع معدلاته في القصيدة، فالتجربة الشعرية والعاطفة الوجدانية والقدرة اللغوية والفنية هي مكونات أصلية في عملية الإبداع الشعري، ولا ريب أن غالية الشعر الذي قيل في الأبناء[2] وصدر عن عاطفة وجدانية متقدة وتجربة وجدانية واقعية كبر على متنها هذا الموضوع الشعري كفقد الأبناء، أو البعد عنهم، وقد حضر الأبناء في عدد من الموضوعات الشعرية في الشعر الأندلسي كان من أبرزها وأكثرها مساسا بالوجدان رضاء الأطفال.

وبالعودة إلى عصر الأندلس نجد أن هذا الغرض قد كثر وتوارد عليه الشعراء فتنوعت مراثيهم واتسمت بخصائص فنية وأسلوبية وكان من أهمهم: ابن الجياب ويوسف الثالث وابن فركون.

ومن أهم الشعراء الذين كان لهم دورا كبيرا في التعريف بفن الرثاء ومن أهم النماذج الشعرية لهذا الفن المطالبون بدراسة نذكر:

[1] – المقري : نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1966، ص : 54: .
[2] – نجلاء نجاحي: المرجع السابق، ص : 953 .

1- ابن الجياب: (749هـ/763هـ-1274م/1348م)

علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري الغرناطي أبو الحسن ابن الجياب شاعر وأديب أندلسي غرناطي أنصاري من شيوخ لسان الدين بن الخطيب ولد في غرناطة وبها نشأ وترعرع وأخذ العلم عن مجموعة من علمائها الأفاضل توفي بالطاعون في غرناطة تاركا الكثير من الشعر والنثر، أغلبه تلميذه لسان الدين بن الخطيب.

ويقول في قصيدته في رثاء ابنه أبي القاسم:

أمـــا شـــعوب فغيمـــت بشـــعاب فتتعلـــــي وقطعـــــت أســـــبابس
لـــــم يكفهـــــا فقـــــد شـــــبيبتي كفـــــى بـــــه رزءا فـــــراق شـــــبابي
حتـــى رمتنـــي صـــائبات بســـهامها بعـــــد الصـــــبا بتفاقـــــد الأحبـــــاب
مـــدت إلـــي يمينهـــا وشـــمالها صـــــلة القطـــوع وهجمـــة المنشـــاب
استأصلت أصلي وفرعي أهلكت أبوي ثم تعـــــــــــقبت أعقابي[1]

بدأ ابن الجياب قصيدته بالتفجع ولكنه تفجع في قمة الروعة إذ صوّر في مشهد بأكمله تصويرا تعبيريا كاملا متكاملا صوّر فيه صورة الموت شعوبا وشبهها بالوحش المفترس، هجم عليه وسد أمامه الطريق وبسط عليه يمينه وشماله، واستأصل منه الأصل والفرع، فأبقاه معزولا وفقد الأبناء أشد حزنا وتذمرا من فقد الآباء فهو صدع في الكبد لا يجبر آخر الأمد، وفقد الأصول مسطر في طبيعة الخلق فكل من عليها فاني، أما موت الأبناء فهو تذبذب في سيرورة الحياة والسير في الاتجاه الخاطئ، فيبقى الأصل طول حياته يأنب نفسه وكأنه هو السبب في فقدان فلذة كبده التي تسبب في مرارة عيشته كأنه يعيش الجحيم.

[1] – أبو الحسن علي بن الجياب: الديوان، دار الكتب المصرية، القاهرة، مخطوط رقم2678، ص11.

وصف ابن الجياب في البيت الأول هجوم الموت على الطفل وصوّره في مشهد رائع كأنه حقيقة أمام العين وأثّر هذا الحدث على نفس الشاعر بصفة خاصة باعتباره فقد الولد من أصعب وأمّر الأشياء التي يصاب بها الوالد، كأنها نار تحرق وتليع القلب.

أما في البيت الثاني اعترف بتقصير النفس وأنها غير مسؤولة، وفي البيت الثالث صوّر صورة التفجع ومناجاة الفقيد والتضرع إلى الله والشكوى والاسترحام بالخالق عزّ وجل.

أما بالنسبة للبيت الرابع والخامس تحدث على تأنيب وذكر ابنه المتوفي، وعبّر عن مشاعره الجياشة اتجاهه وحسرته على فقدانه وذمّ الدنيا واعتبرها أنها دار للكذب والنفاق وأن لا شيء يفيد الإنسان في الأخير إلا عمله الصالح، وآمن بمشيئة الله وقدره، وأنّ الموت قضاء وقدر واجبا على الجميع، مبديا تقربه إلى الله عزّ وجل وإيمانه القوي به.

ويقول كذلك ابن الجياب في رثاء فلذة كبده، معبرا عن معاني الحرقة والأسى لفقدان العزيز:

هو البين ظَنا لا لَعَلَّ وَلا عَسَى ... فما بالُ نَفسي لم تفِض عندَه أسى
وَما لفؤادي لم يَذُب مِنهُ حسرةً ... فتبّاً لهذا القلب سُرعانَ ما نَسى
وما لجفوني لا تفيضُ مورداً ... منَ الدمعِ يَهمِي تارةً ومورّسا
وما للساني مُفصِحاً بخطابه ... وما كان لو أوفى بَعَهدٍ لِيَنبسا
أمِن بعدِ ما أودَعت رُوحِيَ في الثَّرى ... ورمّدتُ منِّيِ فلذة القلب مَرمَسَا
وبعد فراقِ ابني أبي القاسم الذي ... كسانيَ ثَوبَ الثَّكلِ لا كانَ مَلبِسَا
أؤَمِّلُ في الدُنيا حياةً وأرتَضِي ... مقيلاً لدى أبيَاتِها ومعرّسا
فآهٍ وللمفجوع فيها استراحة ... ولا بُدَّ للمصدُورِ أن يتَنَفَّسَا
على عُمرٍ أفنَيتُ فيه بضاعتي ... فأسلمني للقبر حَيرانَ مُفلسا

ظَــلَلتُ بـــه فـــي غفـــلةٍ وجهـــالةٍ إلـــى أن رَمَـــى سَهـــمَ الفِـــراقِ فَـــقَرطسَا[1]

يعلن الشاعر منذ بداية نصه عن سبب حزنه وتفجعه: (هو البين ظنا) فالبين هنا هو الحقيقة التي أبدلت حياته رأسا على عقب لأن الظن في هذه القصيدة يشير إلى اليقين، فهنا الشاعر يبدي تمزقه الروحي لفقد ابنه أبي القاسم فيستهل قصيدته بالبين لأن ما كان يخافه الشاعر وما لم يتمناه قد حدث وهو من مرارة الألم والحسرة وهول الفاجعة يترك كل حواسه تعبر عمّا يحس به من لسان يقول ودموع تذرف وقلب يتمزق ويعبر.

2- يوسف الثالث:

هو ملك غرناطة وسلطانها أبو الحجاج يوسف الملقب بالناصر لدين الله أبوه السلطان يوسف بن محمد المعروف بالمتغني بالله، ابن السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله، كنيته أبو الحجاج، ولقبه الناصر، كانت حياته سلسلة من المحن والحروب، فقد امتحن بالسجن في طور المراهقة، وبعد خروجه من السجن وتوليه مقاليد الحكم ابتلي برزايا أشد فقد فَقَدَ زوجته الأولى إثر ولادتها له ابنه الكب والذي لحق بأمه بعد أيام من مولده بعد عقيقته بيومين، كما فقد الشاعر ابنين آخرين، أولهما لم يذكر اسمه في ديوانه ولا في ديوان ابن فركون الذي نقل لنا بعضا من أشعاره وفي ديوانه.

في حين أنه ذكر ولدين آخرين في عدة مقطوعات هنا: عبد الله ويوسف الذي تذكر المصادر أنه تخطى سنة الرضاعة والطفولة، فنجده ينعته بالفتو بصفة بالحلم والوقار توفي يوم الأربعاء 29 رمضان 147م/820هـ فجأة كما ذكر ابن فركون في ديوان شعره اكتشف سنة 1949 وظهرت طبعته الأولى سنة 1958 بتحقيق عبد الله عنون، وقد اشتمل على جميع

[1]- ابن الجياب: الديوان المرجع السابق، ص:101.

أغراض الشعر باستثناء الهجاء والمدح وقد احتل الغزل والرثاء والفخر والحماسة والشعر السياسي مساحة واسعة من ديوانه، ومراثيه تتنوع بين رثاء شقيقه وأبيه وصهره وزوجته وأطفاله كما رثي ابن زمرك .

ومن مراثيه هذه القصيدة التي قالها في رثاء ولده البكر يقول في مطلعها:

بُعداً ليوم الخميس مِن صفر لما جرى فيه سابقُ للقدر
قد أخذ البين حذره فرمى أفئدةً لم تكن على حذر
للّه منها والبين مُقتبل ظعائنٌ قوّضت إلى السفر
يا صورة قد بدتْ محاسنها فعوّذِتْ في العيون بالسور
ويا وليَّ العهود ما نعمتْ في وطن الملك منك بالوطر
يا قطعة القلب مذْ نأيت لقد تركت قلبي للوْجد والفكر
يا قُرة العين مذْ رحلت لقد خلفت عيني للدمع والسهر
هاذي القلوب التي قد ألتهبتْ بواكفٍ للدموع منهمر
هاذي العيون التي بكتْ أسفاً ما متعتْ في حُلاك بالنظر
متع سمعي بذكره أبداً إذ لم يمتع بوجهه بصري[1]

هذه القصيدة من أول ما نظم الملك يوسف الثالث في رثاء الأطفال وقد قالها بعد وات ابنه البكر واستهلها بالندب البين في ذلك الخميس الأسود من شهر صفر متحسرا على فقدان فلذة كبده معبرا على وجعه في هاته الأبيات يصف حالته المزرية على فقدان ابنه ولم يكن تفجعه تفجع الأب الذي فقد ولده بل تفجع مل لبلد متأزم فقد ولي العهد وذخر الوطن في المستقبل فالتقت أزمته بأزمة وطنه الأندلس فكان تأزم متضاعفا[2].

[1]– أبو يوسف الثالث: ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، تح: عبد الله كنون، مكتبة الأنجلو المصرية، 1965، ص77–78.
[2] – نجلاء نجاحي: المرجع السابق، ص959.

ونجده في قصيدته الثانية يمزج بين مصيبته الشخصية في فقد ولده ومصيبة الوطن، حيث لخّص حقيقة الوضع في الأندلس التي اشتعل فيها فتيل القتال ضد العدو النصراني يقول:

إن للهـــــــمَّ خميـــــــس ثـــــار فـــــي يـــــوم الخمـــــيس
ضحكـــــت سِـــــنُّ الـــــرَّدى عنـــــه فـــــي يـــــوم عَبُـــــوس
وتبـــــــــدي وجهـــــــــه بـــــــين بـــــــؤس وعبـــــــوس
فلكـــم للدَّهـــر مـــن حالتـــي نُعـــــــــــمى وبُـــــــــــؤس
والحِمـــــــام كـــــــم لـــــــه مـــــــن مُعاطـــــــاة كـــــــؤوس
قطعـــــة مـــــن كبـــــدي جُعـــــلت فـــــوق الـــــرءوس[1]

ويقول يوسف الثالث:

لـو أن غيـر الـرحمن نـار الـوطيس بجياد حمر خضر العيون تسوس كم لا
في قتال الروم قد فرمت نار المجوس يـوفي وصـفها يـاليراع فـي الطـروس
خضـــعت كلمنـــا آل هـــود وحبـــوس ســـرت بـــذكره مـــن ضـــغائن وعـــيس
تركنـــا للـــردى مـــن رهـــين وحبـــيس عـــزّ فـــي انـــدلس وعـــراقين وســـوس[2]

يبدأ الشاعر القصيدة بسرد حدث مصيبته العظيمة التي أدخلته في هم وحزن وتحدث كذلك عن اليوم المشؤوم وهو يوم الخميس التي حدثت فيه المصيبة موظفا كلمة خميس التي قصد بها الحس ويعني بها الأحداث التي عاشها في يوم خميس وأحاط الشاعر بالذكر الظروف التي كانت تعيشها الأندلس واستطاع أن يصور مشهد حقيقي في ذلك الوضع السائد تحدث عن القتال الذي كانت نيرانه دائمة في الأندلس ضد العدو النصراني فهي نار لا تهدى ولا

[1]- يوسف الثالث: المرجع السابق، ص154.

[2]- الديوان: ابن الجياب، ص155.

تنطفئ من التوجه مثل نار المجوس وأشار في هاته القصيدة إلى عدة أشياء منها تأسيس دولة بني الأمر إلى تغلب جده الغالب بالله على آخر بني هود كما أن هناك أحداث تاريخية خصها بالذكر مثل استبداد زاوي بن زيري بن هناء الصنهاجي بغرناطة، ثم يتحدث في البيت الآخر على ملوك بني الأحمر الذين تمكنوا بقوتهم وشجاعتهم أن يركعوا كل عدو تحت قدم سلطانهم ويلاحظ في هذه الأبيات أنها تكشف عن تغلب ونخوة الملك ووطنيته التي غطت على حزنه وشدته ولده فتحول الرثاء هنا إلى فخر وهذا الفخر جاء مخففا نار الرثاء ويعزي الشاعر نفسه بالصبر والاعتبار والفخر لأن مصيبته وهزيمته لم تكن مثل الروم. ثم تأتي خاتمة هذه القصيدة بكلمة استخلصها من مواقف الحياة في قوله:

غيـر أن المـوت إذ يتلاقـى بـالنفوس كـل مـرؤوس يرفـي يديـه ورئـيس[1]

3- ابن فركون:

أما ابن فركون شاعر يوسف المخلص ورفيقه في السراء والضراء ومشاطره الأفراح والأقراح من بداية عهده إلى نهايته فقد أسهم بدوره في رثاء الأطفال وإن لم يصلنا من ذلك إلا مرثية واحدة في ولد يوسف البكر قال في تقديمها: "وكانت والدة هذا المولود قد توفيت إثر ولادته ولحق بها في سادس صفر (1409/812) فقلت للحين مرتجلا"[2].

هذه المرثية ذان بنية تقليدية مألوفة بدأ باستعظام الخطب وتمني الصبر منتقلا بعد ذلك إلى التأبين بالاعتماد على المخائل ولكنه قبل ذلك اتجه إلى يوسف الثالث معزيا مواسيا محاولا

[1] – يوسف الثالث: المرجع السابق، ص156.

[2] – حسناء بوزويتة: المرجع السابق، ص344.

الجمع بين التعزية والمدح ففشل في ذلك فشلا ذريعا وكانت النتيجة عكس المراد إذ قال [الطويل]:

وهـل كـان إلا الـنجم أطلـع نبـرأ ووجهـك صـبح لاح فـي أفـق المجـد
فـلا تعجبـوا لمـا بـدا مـن غـرو بـه أيلنـاح نجـم والفحـى نـوره يهـدي[1]

فقد استعار للطفل صورة النجم وللوالد صورة الضحى ولا يمكن للنجم أن يتألق في نور الضحى، فقد حكم الضحى عل النجم بالزوال فصار الأب بذلك المتسبب الأول في موت ابنه وجعل الشاعر بذلك العلاقة بين الأب وابنه تنافسية عدائية كأن اجتماع الأب والابن في الحياة أمر محال، فاندثار الابن شيء طبيعي لابد منه فكان المعنى الرثائي الحاصل عكس ما قصد إليه الشاعر تماما وفي القصيدة من ناحية أخرى تركيز مفرط على التأبين في رثاء مولود جديد لا يترك موته عادة أثر كبير حت وإن كان التأبين يذكر المخائل.

وقد أدى هذا الإفراط إلى أن رثاءه بدا كأنه بلا موضوع وكأنه رثاء بلا ميت فهو رثاء من أجل الرثاء وإشادة بغرض الرثاء أكثر منه رثاء حقيقيا.

أما من ناحية الفنية فقد أتت القصيدة على المنوال الرثائي المعهود الأساليب الترديد والتعديد ومنوال تركيبي واعد يتردد ذلك أن المرثية تحتوي تعبيرا عن العواطف والمواقف وردود الفعل لا سرد للوقائع والأحداث الغنية بالبطولات مثل الفخر والمدح، فهذه المرثية هي إذن عمل شاعر بلاط أدى فريضة وقام بواجب لذلك كانت تقليدية تفي بما اشترط في رثاء الأطفال خالية من كل عاطفة وإحساس.

[1]– ابن فركون: ديوان ابن فركون، ص32، 23 بيتا ومظهر النور، 53–20 بيتا، مع اختلافات طفيفة في بعض الأبيات، ص33.

الخصائص الأسلوبية لمراثي الأطفال والنساء:

1- الخصائص الأسلوبية لقصيدة ابن الجياب:

تظافرت الأساليب في ذلك المشهد لتأتي به في غاية التعبير وتصوير الاشتقاق:(شعوب، شعاب، شبيبي، شبابي) والاستعارة: (رمتني صائبات سهامها) والطباق: (صلة القطوع، أصلي وفروعي، يمين، شمال) وصيغت الألفاظ: التفاقد فهو فقد متوالي متواتر، والتعقب: وتفعّل تفيد هنا المبالغة في إنجاز الفعل)[1].

كما لجأ على استخدام الجمل الفعلية مثل (شعوب خيمة، سطت علي، قطعت أسباب)، رمتني صائبات سهامها، استأصلت أصلي وفرعي، أهلكت أبوي، تعقبت أعقابي) فهذه الجمل رغم قصرها إلا أنها مكتنزة ممتلئة بالمعاني والصور والدلالات وهذا نابع من حقيقة الموت الذي يعد حدث كونيا ومصيبة عامة[2].

[1] – حسناء بوزيتة: المرجع السابق، ص330.

[2] – نجلاء نجاحي: المرجع السابق، ص955.

وقد كان الرثاء مركزا على ضمير المتكلم يصف فيه مدى تأثير المصيبة في نفسه لأن المصيبة هنا شخصية كيانية لا عامة كونية يظهر في البيت (واستأصلت أصلي وفرعي... أعقب أبوي ثم تعقبت أعقابي) لجأ هنا الشاعر إلى تعميم المصيبة[1].

"أما القصيدة الثانية فلا تقل أهمية عن الأول قد وظف فيها الشاعر المعاني نفسها ولكن تفوقها في إتقان الحبك بلاغة الصر فقد وظف الشاعر الأساليب الإنشائية في هذه القصيدة كأسلوب الاستفهام بكثرة وبقوة:

ما بال نفسي لم تفظ عنده أسى؟

وما لفؤادي لم يذب حسرة؟

وما لجفوني لا تفيض موردا؟

وما للساني مفحما بخطابه؟
أمن بعدما ما أودعت روحي في الثرى؟
ورمدت مني فلذة القلب مرمسا؟

يظهر الغرض من هذه الاستفهامات المتوالية والمتجاورة في التعبير عن الحالة النفسية والوجدانية للشاعر التي تترجم معاني الأسى والحيرة والحرقة في تعجب من نفسه فقد انقطع أمله ويئس من الحياة بعد موت ولده الذي جاء مفاجأة له كانت ردة فعله زهدا في الحياة وهذه الاستفهامات تحدث في القصيدة توترا وتعليقا يجعل المتلقي يعيش نفس الحالة النفسية ويعاني

[1] – المرجع نفسه، ص955.

نفس الأزمة ومادام هذا الحزن طويل ومستمر فقد أجل الشاعر الإجابة في قوله أؤهل في الدنيا حياة وارتقي.. مقيلا لدى أبياتها ومعرسا

لتكون قفلة وخاتمة للمقطع الاستهلالي الذي يترجم ممدى اليأس الذي استولى على نفس الشاعر الذي ترجمته لفظة: (أؤهل، فاليأس أقوى معاني الرثاء والتفجع فلا شيء بعد اليأس إلا العدم كما لجأ إلى استعمال الألفاظ المتماثلة والمتكاملة معنويا مثل: (القلب، الفؤاد، النفس، الروح، لعل، عسى، الأسى، الحسرة، الثرى، الرمس، ثوب، ملبس، أفصح، يئس...الخ) وذلك لتكثيف الدلاة وتقوية المعنى ثم يفسح المجال للمقاطع التالية التي تتوالى على هذا النمط:

الشكوى إلى الله تعالى
تصوير حالة بعد فقد طفله
مناداة ومناجاة الفقيد
السقي والدعاء إلى الله"[1].

ومن الجانب الصوتي نلتمس تكرارا لأصوات المهموسة وكأنا نغمات داعية إلى الترديد القارع للآذان قصد التنبيه والإثارة فصوت السين الذي تكرر في هذه الأبيات 27 مرة مدعوما بصوت الباء والنون وصوت الميم فتتابعها وتواترها في جسد هذا المقطع مبني على التدفق والانسكاب الصوتي والعاطفي وتردد صوت السين الذي آزره صوتيا الأصوات المذكورة آنفا وضح لنا صورة هذا الشاعر البائي الراجي النادم المتقرب على الله مالتحسر على ما فات أحدث إيقاعا نغميا مثيرا يترك في النفوس نغمات ورنات تجبرنا إجبارا على المشاركة الوجدانية

[1] – نجلاء نجاحي، المرجع السابق، ص956.

وهذا التآزر والتجاور بين هذه الأصوات المتكررة حقق لونا من ألوان الامتاع الفني المؤثر والذي يرسم لنا صورة هذا الشاعر وكأننا نراه ماثلا أمامنا[1].

فللأصوات القدرة على إحداث تأثيرات نفسية كبيرة إذ يمكن عدّ كل صوت وعاء يصب فيها المبدع أحاسيسه ولا شك أن اختياره للأصوات وخاصة في القافية لا يكون عشوائيا فلابد أنه يلجأ إليه ليصب فيه أحاسيسه ومشاعره أو قد يرتبط بتكرار حرف داخل القصيدة يكون له نغمة التي تطغى على النص ويعني هذا أن لتلك الأصوات فاعلية كبيرة وقدرة عالية في إضفاء دلالات عميقة على الجانب الصوتي.

2- الخصائص الأسلوبية لقصائد الملك يوسف الثالث:

تظهر أساليب النداء في قصيدة الملك يوسف الثالث وتتولى وتتظافر لتبرز مناجاة الشاعر لفقيده إذ أن للنداء دور كبير ي تكثيف الجانب الإيقاعي فالشاعر ليس محسب مرسلا لأدوات النداء إنما هو أيضا تعبير عن مشاعره ونفسيته ووجدانه فتظافر وتوالي النداء يدل على مكانة المنادى وهذه النداءات المتوالية تحمل معاني الضعف الإنساني والرجاء والألم والتوجع ودوام الحزن وبث الشكوى والملاحظ أن أساليب النداء تتناسب مع وزن المنسرح الرتيب الإيقاع وتبرز ظاهرة التجنيس[2].

وفي قصيدته الثانية التي لخص فيها حقيقة الوضع في الأندلس التي اشتمل فيها القتال ضد العدو النصراني نجده موظفا كلمتي خميس التي تعني الجيش ويقصد بها جملة الخطر

[1] – المرجع نفسه، ص957.

[2] – نجلاء نجاحي: المرجع السابق، ص958.

التي ألمت به في يوم خميس، ثم عهد إلى تكرار مفردات متطابقة (طباق): ضحك، عبوس، نعمى، بؤس.

أما من الجانب الصوتي فقد اتسمت القصيدة بطغيان الأصوات الصفيرية وفي مقدمتها صوت السين ولا أدل على ذلك من القافية التي جاءت سينا ساكنة. هي عبارة عن رموز للمعاني وهي أيضا رموز للمعاني تعتبر أصواتا وأنت لا تستطيع أن تستعملها بإحدى الصفتين دون أن تستعملها أن تغير الصوت تغييرا ماديا أي أنك لا تستطيع أن تستعملها بإحدى الصفتين دون أن تستعملها بالصفة الثانية.

لقد دارت الأصوات المهموسة بصفة عالية في هذه الأبيات مما لوّن الأبيات بلون من الترديد الصوتي العذب بتكرار السين والهاء والحاء واحتكاكيته يؤدي إلى لون من انفجارية التصويت[1].

3-الخصائص الفنية لشعر رثاء الأبناء:

سنحاول في هذا الطرح دراسة الخصائص الفنية لشعر رثاء الأبناء والتي أنبتت في هذه النصوص التي أوردناها، فجعلت منه شعرا متميزا عن الشعر الرثائي بشكل عام وأهدته بقوة سحرية وجاذبية قوية مصحوبة برقة وعذوبة، فلم توجد في غيره من الفنون الشعرية، يطرب لها السامع ويستمتع بالترنم لذلك الشعر السجي الذي نضج على نار الحزن والألم والمعاناة البشرية وأشيد على غيتارة حزينة بعين باكية والنفس البشرية أكثر ما يصيرها هذا اللون من الشعر والنشيد الحزين فتجذب إليه بقوة[2]. وقد سئل أعرابي: ما بال المراثي أشرف أشعاركم؟ فقال على

[1] – نجلاء نجاحي: المرجع السابق، ص960.

[2] – محمد عبد القادر حسن غنيم: المرجع السابق، ص313.

الفور: لأننا نقولها وأكبادنا محترقة ثم إن الشعر الجيد هو الذي يخرج من القب ليقع في القلب، ولو أنه خرج من اللسان يتجاوز الآذان.

ثم لو أننا أمعنا النظر في شعر الرثاء الذي قيل في الأبناء فإننا نجد أن هناك خصائص خاصة، وخصائص مشتركة وعامة، ولكنها ترجع جميعها لتقف في موقف واحد، يقف فيه كل من فقد عزيزا بشكل عام، ومن فقد ولدا بشكل خاص ألا وهو موقف الموت الذي لن يفلت منه مخلوق.

الخصائص الفنية لشعر رثاء الأبناء:

1- خلو شعر رثاء الأبناء من المقدمات التقليدية:

المعروف في الشعر العربي عامة أن يبدأ الشاعر قصيدته بالوقوف على الأطلال ومحاكاة ذلك الطلل الدارس ومخاطبة المكان الذي كانت تنزله المحبوبة أو الشخص الذي يود الشاعر إنشاد الشعر فيه، فكانوا يخصصون هذه المقدمة للتغزل بالحبيبة ويتطرقون لوصف المكان الذي كانت تقيم فيه ووصف أهلها وقومها ويوم رحيلها ووصف ناقتها التي تحطها ثم يخلص الشاعر بعد كل هذا إلى الغرض الذي يود أن ينشد فيه الشعر لقد سار على النهج جميع الشعراء القدامى في العصر الجاهلي وصدر الإسلام بدون استثناء وفي جميع أغراض وفنون الشعر ومنهم بطبيعة الحال الشعراء الرثاء بصة عامة لكنهم كانوا يخصصون مقدماتهم للوقوف بأطلال الميت لوصف المكان الذي كان يرتاده في حياته فيصفونها وصفا دقيقا إلى أن يخلصوا لرثاء الميت ومدحه ولتعداد حسناته وصفاته الشخصية[1].

[1] – محمد عبد القادر حسن غنيم: المرجع السابق، ص313.

ولم يتطرقوا لتضمين هذه المقدمات للتغزل بالحبيبة كما كانوا يفعلون في أغراض الشعر الأخرى وهذا نابع من خلال موقف الموت وهيبته، وما يبثه في النفوس من الخوف والخشوع ولنستمع إلى الشاعر حسان بن ثابت وهو يرثي الرسوم الكريم صلى الله عليه وسلم عندما توفاه الله سبحانه في المدينة المنورة والأماكن التي كان ينزل بها عليه السلام وظلت باقية بل محفورة على جدار ذاكرة حسان وغيره من صحابته عليه السلام وقد أثرت في نفوسهم أيّما تأثير يقول حسان[1]:

بَطَيبَـــةَ رَســـمٌ لِلرَســـولِ وَمَعهَـــدُ مُنيـــرٌ وَقَـــد تَعفـــو الرُســـومُ وَتَهمَـــدِ
وَلا تَمتَحـــي الآيـــاتُ مِـــن دارِ حُرمَـــةٍ بِهـــا مِـــنبَرُ الهـــادي الَـــذي كـــانَ يَصـــعَدُ
بِهـــا حُجُـــراتٌ كـــانَ يَنـــزِلُ وَسطَهـــا مِـــنَ اللَـــهِ نـــورٌ يُستَضـــاءُ وَيوقَـــدُ
عَرِفـــتُ بِهـــا رَســـمَ الرَســـولِ وَعَهـــدَهُ وَقَبـــراً بِهـــا واراهُ فـــي التُـــربِ مُلحِـــدُ

أما الغزل فإن القليل من الشعراء قد ابتدأ رثاء الغزل لأن الغزل والنسيب لا يتناسب مع موقف الموت الرهيب وقد روى بن العلي قال: "لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة الشاعر دريد بن الصمة ومطلعها: أرت جديد الحبل من أم معبد... فاجافتيه وأخلفت كل موعد"[2].

وقد استدرك بن رشيق في كتابه العمدة على هذه القصيدة بقوله[3]:" وإنما تغزل دريد بن الصمة بعد مقتل أخيه وحين أخد ثأر أخيه وأدرك طلبه) فإذا أجاز القلة من الشعراء لأنفسهم أن يبدوا مرثياتهم بالوقوف على الأطلال ورأى في نفسه متسعا من الوقت لمخاطبة الطلل بشيء من الغزل والنسيب وذلك حين يرثون إخوانهم أو أحد من الأقارب الاعزار فإننا نلاحظ موقفين أنهم حين يرثون الأبناء يتطرق وأحد منهم قط إلى أن يقف على طلل أو أن يبدأ مرثيته بنسيب

[1] – حسان بن ثابت الأنصاري: ديوان حسان بن ثابت، ص144، وبيرة هشام، ج1، ص232.
[2] – محمد عبد القادر حسن غنيم: المرجع السابق، ص314.
[3] – العمدة: ابن رشيق القيرواني، ج2، ص151.

أو غزل أو أي شيء من هذا لقد شد جميع الرثاء الآباء والأمهات عن قاعدة إبداء القصيدة بمقدمة يخصصها للأطلال أو التغزل بالحبيبة بل إننا نراهم يلتزمون بوحدة الموضوع التزاما كاملا ويدخلون في موضوعهم مباشرة بدون مقدمات تقليدية ولم أر شاعرا واحدا ممن رثوا أبنائهم قد وقف على الأطلال أو تغزل في بداية رثائه لابنه وفلذة كبده وذلك بسبب الحزن العميق الذي حلّ في قلبه.

*** صفات الحسن والجمال في شعر رثاء الأبناء:**

نعت الشعراء الرثاة أبنائهم بصفات كثيرة ونعتوهم بنعوت عديدة ليميزوهم عن أقرانهم وعمن سواهم، فأضفوا على الابن صفة الشجاعة والفروسية والكرم، والنجدة والمروءة، ومنهم من رأى أن ابنه يتحلى بمواصفات السيادة والزعامة من خلال سلوكياته اليومية وتصرفاته في السلم والحرب مما يجعله مؤهلا لبلوغ المجد والعز وهذا ا جعل الشاعرة تماضر بنت الشريد ترى في ابنها انه يزن قبيلة بأكملها رجولة وفروسية وكرما وعزا ومجدا تقول:[1]

حذيفـــــة لا ســـــقيت ن النـــــوادي ولا روتـــــــك هاطلـــــــة نـــــــداها
كمـــــا أفجعتنـــــي بفتـــــى كـــــريم إذا وزنـــــــت بنـــــــوعين علاهـــــــا

وهذا الأسود بن المطلب الذي وصف أد أبنائه أنه أسد الأسود ولاو موته فلن يستطيع أحد غيره أن يسود أو يتزعم القبيلة فيقول:[2]

[1] – محمد عبد القادر حسن غنيم: المرجع السابق، ص341.

[2] – ديوان الحماسة: شرح التبريزي، ج1، ص361.

وبكـــي إن بكيـــت علـــى عقيـــل وبكـــــي حارثـــــا أســـــد الأســـــود
وبكـــــيهم ولا تســـــمي جميعـــــا فمـــا لأبـــي حكيمـــة مـــن نديـــد
ألا قـــد ســـاد بعـــدهم رجـــال ولـــولا يـــوم بـــدر لـــم يســـودوا

إن مبعث هذا الاعتزاز بالولد هو شدة تعلقهم بأبنائهم وكيف لا وقد خلفوا لهم فتنة وزينة في الحياة الدنيا بل أنهم ثمرات القلوب والأفئدة وهم قطعات من أكبادهم وأجزائهم وأحشائهم.

*** شماتة الأعداء في رثاء الأبناء:**

إن يخلو المرء من حاسدين له يفرحون إذا ألم به حزن وأصابته مصيبة بمكروه ومه انه لا شماتة في موقف الموت إلا أنه قد لا يخلو من بعضهم حيث وجدنا في النصوص التي قدمناها من الشعراء من صرح بأنه يتجلدها بالصبر رغم فداحة المصيبة خشية من شماتة الأعداء الشامتين ليفوت عليهم فرصة التشفي به[1]، خاصة أن موت الولد هو من أقسى ما يصيب الرجل، لأنه أغلى من المال وقد يفوق الروح والنفس ولطالما تمنى بعض الآباء افتداء الابن بالروح أو النفس كيف والأبناء من أقراب الناس إلى قلوبهم وحبهم حب عاطفي روحي فطري نابع أعماق القلب والحشا والكبد كما أن الابن كثيرا ما يكون محل رجاء وأمل للأب وبموته يضيع هذا الأمل ويتبخر ذلك الرجاء فتكون فرصة الشماتة أقصى وأمر على النفس والقلب وقد مرّ معنا كيف ينظر الأب لابنه على أنه ناب وظفر وعضد كناية عن كونه بمثابة المدافع القوي والمهاجم الشيد الجرأة للفتك بالدور وتحقيق الحماية والأمن وقد أعطانا الشاعر العربي (الثقفي) صورة واضحة وجلية لهذا الموقف وهذه النظرة للابن فيقول:[2]

[1] – محمد عبد القادر حسن غنيم: المرجع السابق، ص345.

[2] – العقد الفريد: ج2، ص441.

مـن كـان ذا عضـد يـدرك ضـلامته إن الــذليل الــذي ليســت لــه عضــد
تنبــو يــداه إذا مــا قــلّ ناصــره ويــأنف الضــيم إن أثــرى لــه عــدد

2- انسجام اللغة والألفاظ مع الموقف في شعر رثاء الأبناء:

وكما أن جلال موقف الموت المسيطر عل عقل وفكر الأب والأم حين يموت الولد فينسيهم كل التقالي المتعارف عليها عند انشاد الشعر، كابتداء القصيدة بمقدمات تقليديةن فنشدوا عن هذه القاعدة مأخوذين ومشدوهين ومنصولين من شدة الحزن على موت الولد، ولكنهم قد اشتركوا جميعا في حسن اختيار الألفاظ والكلمات التي تتناسب مع موقف الموت الرهيب وصاغوا قصائدهم ومقطوعاتهم بلغة وألفاظ استطاعوا من خلالها التعبير عن أحاسيسهم ومكنونات مشاعرهم وعواطفهم أصدق فالتعبير وذلك بالإكثار من تمنياتهم لو ان لديهم القدرة برد الموت عن الود أو افتدائه بل ما يملكون من المال المتوفر لديهم أو بأنفسهم كذلك وأرواحهم أو ان يستطيعوا أن يهبوهم جزءا من أعمارهم[1]، ولا اعتقد أن أحدا منا يشك في صدق الشاعرة السليكة او السليك، حيث تتمنى صادقة وبعفوية ظاهرة ولغة سهلة واضحة ساعدت عن إبداء رغبتهما بالتعبير عن هذه الآنية فقالت:[2]

ليـــــت نفســـــي قُـــــدمت للمنيـــــــــا بـــــــــدلك

تكرار الألفاظ والعبارات في شعر رثاء الأبناء:

اختلف المفكرون والنقاد والدارسين في نظراتهم لظاهرة التكرار في شعر الرثاء بشكل عام، فنظر بعضهم وخاصة القدماء منهم وابن رشيق أحدهم فقد رد ظاهرة التكرار إلى أنها نتيجة

[1] – محمد عبد القادر حسن غنيم: المرجع السابق، ص319.
[2] – ديوان الحماسة: شرح التبريزي، ج2، ص191.

للتفجع وشدة الجزع على من فقد من الأحبة والأعزاء حيث يقول ابن رشيق[1] وأولى ما يترر فيه الكلام باب الرثاء، لمكان الفجيعة وشدة الفرحة التي يجدها المتفجع، ومن هنا نجد أن الشاعر حسين بفقد ولده الذي هو أقرب الناس إلى قلبه وأحبهم إليه، إنما يقول لرثائه وهو في قمة انفعاله وألمه وشعوره بالحزن، وعندما ما يحس الشاعر أثناء قصيدته لفظة أو عبارة شعر معها بانسجام وتطابق مع الترنيمات الحزينة التي تز أوتار قلبه المهد وعن فيطيب له أن يردد هذه العبارة التي لا بمعناها شقان قلبه فهزت أوتاره تجاوبت لها روحه ونفسه بشيء من الجاذبية النفسية والروحية لأنه قد وجد مهاراته لأعصابه المتوترة.

ومن هنا كان للتكرار هذا السحر الحفي وهذه الطلاوة البيانية جعلت لترديده وترجيعه واقعا جياشا في أعمق النفس والأحشاء وبنظرة فاحصة إلى ما جاء في القرآن الكريم الذي جهر الناس في إعجازه وبيانه سنجد أن آية كاملة قد تكررت (33) مرة في سورة واحدة ألا وهي سورة الرحمن وقد تكررت الآية الكاملة ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وهل كل مرة تقرأ هذه السورة الكريمة تردد هذه الآية الكريمة وتتجدد ذلك العذوبة والرقة ويسري ذلك الأثر السحري البياني إلى داخل أعماق النفس والقلب والفؤاد والانسجام المعنى مع اللفظ في إطار عام للآية والسورة بشكل إجمالي ولكننا نجد ان بعض الدارسين والباحثين من يرى أن التكرار يكون ألصق وأقرب إلى باب الحماسة والحرب والشجاعة والفروسية من إلى باب الرثاء فهذه الباحثة بشرى الخطيب تقول:" عن التكرار اللفظي الواسع يتضح في المعاني الحماسية للرثاء التي تدخل في مواضيع الشجاعة والحرب والثأر"، وباحث آخر هو الدكتور محمد حور يناقش الكثير من الآراء في هذا الباب ثم يميل برأيه للإعجاب بهذا التكرار في مثل هذا الموقع من الرثاء فيقول: "وكم أنا معجب

[1] – محمد عبد القادر حسن غنيم: المرجع السابق، 336.

بهذا التكرار، وكم أشعر التفاعل مع الشاعر وهو يكرر عباراته التي ألمس من خلالها صدق التجربة واللوعة التي كان يمر بها وهو يقول قصيدته.

*** الاعتذار بالمنية المقدرة في شعر رثاء الأبناء:**

الموت قدر على جميع المخلوقات ومآل كل الأشياء ي السموات والأرض لقوله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] وهذه الحقيقة قد أعنت الشعراء الرثاة إلى أبعد الحدود في التجمل بالصبر والتحلي بالجلد لرحيل أحبابهم وأعزائهم وأبنائهم على وجه الخصوص لأن الأبناء أكثر الناس قربا بالقلوب الآباء فأستلهموا من هذه الحقيقة العزاء والسلوان لأنفسهم ووجدوا الراحة لأرواحهم والهدوء لأنفسهم المحترقة بنار الألم والحزن والتفجع فالأبناء أقرب من جميع أهل المودة والقرابة والصداقة إلى الأفئدة والقلوب، لذلك فقد بذلوا ما في وسعهم لاتداء أبنائهم فلم يفلحوا فتمنوا الموت بدلا عنهم أو مشاطرتهم أعمارهم ولكن الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ورحم الله غيلان بن سلمة عبر أجمل تعبير عن حبه لولده عامر حين يقول:

لـــو أســـتطيع جعلـــت منـــي عـــامرا بـــين الضـــلوع وكـــل حـــي فـــان

نعم ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2]، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام هذه الحقيقة الثابتة، قد ساهمت مساهمة فعالة في إعادة العقلانية إلى عقول الآباء الزائغة بفعل موت الابن وإعادة إدراكهم وتفهمهم بعد أن فقدوا السيطرة على أنفسهم من هول الصدمة وشدة النكبة فانفعلوا وكانوا

[1] – سورة القصص، الآية 88

[2] – سورة الرحمن، الآية26.

في داخل أنفسهم حين هزتهم من أعماقهم فجيعتهم بفقد الولد ولم يتوبوا إلى رشدهم إلا بعد تذارف الدمع السخين وتذكر هذه الحقائق التي تقرر أن كل شيء هالك وكل حي فان[1].

*** شعر الرجل أقوى من شعر المرأة في شعر رثاء الأبناء:**

استطاع الرجل التعبير عن أحاسيسه ومشاعره وأحزانه وآلامه عند فقد ولده بقصائد ومقطوعات فيها من القوة البيانية والجزالة اللفظية والصور الفنية والأساليب المنوعة والمتعددة ما أثبت فيها تفوقه على المرأة في الرثاء عامة والرثاء الأبناء خاصة إذ أم المرأة تتأثر عواطفها بسرعة فائقة وتستجيب للتافعل مع الأحداث بشكل يفقدها لسيطرة على نفسها فينقلب زمام اتزانها وتناهر أعصابها فتبدأ بانفعال شديد بالصراخ والعويل فياتي شعرها أحيانا على شكل مقطوعات متسارعة متلاحقة تتناسب مع موقفها المظطرب ومع قصر نفسها وبوقفة تامل وبنظرة فاحصة في رثاء أم تأبط شرا لولدها لتؤكد هذه الخاصية عند المرأة خاصة تلك التي لم تقوا على احتمال الصدمات والأنباء الغير سارة، فإنها لما سمعت بوفاة ولدها تأبط شرا انفعلت انفعالا شديدا وفقدت السيطرة على نفسها من هول الصدمة فبدأت بالصراخ والبكاء، وعندما بدأت رثاء جاءت الأبيات على شكل مقطوعات قصيرة متسارعة، خلت من الإجادة البلاغية أو الصور البيانية بل وانعدام التركيب الفني لهذه الأبيات وكيف يستقيم لها هذا، وهي تصرخ فاقدة الوعي والإدراك والتركيز والثبات ولنستمع إليها تقول: [2]

وإبنـــا وابـــن الليـــل لـــيس بزميـــل شـــــروب للقيـــــل رقـــــود بالليـــــل
جـــــواد وهـــــول أجـــــزت بالليـــــل تضـــــرب بالـــــذيل برجـــــل كـــــالغول

[1] – محمد عبد القادر حسن غنيم: المرجع السابق، ص348.

[2] – محمد عبد القادر حسن غنيم: المرجع السابق، ص351.

وعلى هذه الشاكلة جاء رثاء هذه المرأة التي فقدتها الصدمة الصواب وملكت عليها نفسها ولم تعد قادرة على التحكم بالسيطرة على تركيزها أو نطقها أو عقلانيتها أو أفكارها لكن هذا لم ينطبق على كل النساء ولا يمنع أن يكون هناك شاعرات أكثر عقلانية وأسمى أفكارا وأكثر إجادة وأقوى شخصية وأجرأ قلبا من أم تأبط شرا. [1]

[1] – المرجع نفسه، ص352.

خاتمة

خاتمة

حاولت هذه الدراسة أن تعطي صورة واضحة للرثاء في الأندلسٍ، ذلك من خلال دراسة بعض نماذج لشعراء في مراثي منها زوجاتهم ومنها أبنائهم وبهذا نكون قذ ختمنا ما تسنى لنا من تحليل الأسلوبية النموذج للدراستين رثاء النساء ورثاء الأبناء، حيث خرجت هذه الدراسة بنتائج أهمها:

- أن الشعراء نظموا رثائهم في الأقارب من بينهم رثاء الزوجات والأبناء
- نجد أن الدافع الأساسي والمحرك الأصلي في ظاهرة الرثاء الأبناء هو الحزن المطلق الذي ينبعث وجدان الذي مزقه الألم ومشاعر أضعفها الوهن، فهي تتحرك مخلفة ورائها كلمات تنبثق من صميم قلب صادق.
- تتناغم أصداء الحزن مع لوعة الحنين وزفرات الأنين متضامنة مع شوق اللقاء وذكريات الماضي لتنعي الابن الفقيد أو الزوجة الذي خطفته يد المنون.
- وقد تكونت قصائد الشعراء من رؤى الوجدانية يعبر فيها عن تارب ذاتية يمرون بها ومنها غرض رثاء الأبناء والزوجات إزاء معاناة يدركونها بحواسهم الظاهرة ويعيشون أصدائها بوقاهم الباطنة التي تنعكس على كيانهم الخارجي عاكسة حقيقة الصراع المستمر بين عالمهم الداخلي وإحساسهم بالواقع الخارجي.

فقد جاءت مرثية كل من الشاعر مليئة بالصور الفنية التي كرّسها لتصوير آلامه وشعوره بالحزن القاتل فكانت عاطفة كل من الشعراء عاطفة شجن وشوق، حيث أننا وجدنا في غرض الرثاء الدواء الشافي للجروح والأحزان التي خلّفتها فقدان الزوجة والابن، فكانت مراثيهم رمزا للوفاء والعاطفة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

*** القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

- الدواوين الشعرية :

1)ابن فركون: ديوان ابن فركون، .....

2)أبو الحسن علي بن الجياب: الديوان، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط ، د.ت

3) الملك يوسف الثالث: ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، تح: عبد الله كنون، مكتبة الأنجلو المصرية، 1965 .

4)حسان بن ثابت الأنصاري: ديوان حسان بن ثابت ، ج: 1 ، .....

5)ديوان الحماسة: شرح التبريزي، ج1.

6)ديوان الحماسة: شرح التبريزي، ج2.

المراجع :

عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1974.

محمد عبد القادر، حسن الغنيم: رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: كلية الدراسات الشرقية، جامعة البنجاب لاهور باكستان، دس.

7)المقري: نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1966، ص54.

8)مهدي عواد الشموط: الرثاء في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين: كلية الدراسات العليا، جامعة الأردنية، 2010.

9)يمن عبد الله صباح، الخير دلال: رثاء الآباء لأبنائهم في الشعر العربي (العصر بين الأموي والعباسي)، يونيو 2014، دط.

10) حسناء بوزويتة الطرابلسي : حياة الشعر في نهاية الأندلس، دار محمد علي الجامعي، 40 شارع الشابي 3000، صفاقس، تونس، ط1، أوت 2001.

المقلات في المجلات العلمية :

1. نجلاء نجاحي: براعة الاستهلال في مراثي الأطفال في نهاية الأندلس "ابن جياب والملك يوسف الثالث"، المؤتمر الدولي الثاني عشر للغات والدراسات الأدبية والثقافية، بتاريخ : 5-يونيو2020،

الفهـــرس

الفهرس

شكر وعرفان

الإهداء أ

مقدمة..... أ

مدخل

1- تعريف فن الرثاء:..... 2

2- خصائص فن الرثاء في الشعر العربي:..... 3

3- أنواع الرثاء: 3

4- فن الرثاء في نهاية الأندلس؛ الخصائص والأعلام ودواعي ظهوره..... 5

الفصل الأول: فن رثاء النساء وخصائصه

تمهيد:..... 9

1- نماذج لرثاء الزوجة:.....10

أ- ابن الخطيب في مرثية زوجته:.....10

ب- مرثية يوسف الثالث لزوجته:.....12

ج- رثاء الوجيهات:.....14

الفصل الثاني: رثاء الأطفال

1- ابن الجياب: (749هـ/763هـ-1274م/1348م).....19

2- يوسف الثالث:.....21

الفهرس

3- ابن فركون:.....24

الخصائص الأسلوبية لمراثي الأطفال والنساء:.....26

1- الخصائص الأسلوبية لقصائد الملك يوسف الثالث:.....29

3-الخصائص الفنية لشعر رثاء الأبناء:.....30

الخصائص الفنية لشعر رثاء الأبناء:.....31

1- خلو شعر رثاء الأبناء من المقدمات التقليدية:.....31

2- انسجام اللغة والألفاظ مع الموقف في شعر رثاء الأبناء:.....35

خاتمة.....41

قائمة المصادر والمراجع:.....43

الملخص:

الموت حقيقة حتمية، لا ينجو منها أحد وليس للخلاص منها سبيل وقد عبر الشعراء عن هذه الحقيقة كل حسب موقفه من الموت والحياة، ومنهم من تأثر بالفلاسفة الذين قالوا "إن الموت الجسد ولادة النفس" ومنهم من وجد أن الموت بابٌ ليدخل منه إلى ما يريد، للرثاء ليستميل إلى قلوب ذوي المرثي، ويصل إلى هدف سياسي أو اقتصادي وقد وجدوا الشعراء الأندلسيون بيئة ساعدتهم لينظموا أشعارا في الرثاء، عندما رأوا أن الموت يحل قريبا منهم فيتخطف الآباء والبنين والزوجات والملوك والرؤساء، فراحوا ينظمون أشعارا تمثل مشاعرهم وما يختلج في صدورهم تجاه حقيقة الموت التي لا ترد ولا تمنع ولا تدفع، فمنهم من كان صادقا في رثائه، ومنهم من كان متكسبا وكثيرا منهم من سار على نهج طريقة فحول القدماء في الرثاء.
الكلمات المفتاحية: الرثاء، الرثاء عند الشعراء الأندلسيين، التحليل الأسلوبي لدراسة النماذج.

Summary:

Death is an inevitable reality, no one escapes from it and there is no way to escape from it. The poets expressed this truth, each according to his stance on death and life, and some of them were influenced by the philosophers who said, “Death is the body and the birth of the soul.” For the lamentation to appeal to the hearts of the people of the lament, and to reach a political or economic goal. And the Andalusian poets found an environment that helped them to compose poems in lamentation, when they saw that death was coming close to them and kidnapped fathers, sons, wives, kings and presidents. Which does not refuse,

does not prevent or repel, some of them were sincere in their lament, And some of them were profiteers, and many of them followed the path of the ancient stallions in lamentation.
Keywords: elegy, elegy for Andalusian poets, stylistic analysis to study models

Sommaire:

La mort est une réalité inévitable, personne n'y échappe et il n'y a aucun moyen d'y échapper. Les poètes ont exprimé cette vérité, chacun selon sa position sur la mort et la vie, et certains d'entre eux ont été influencés par les philosophes qui ont dit : " La mort est le corps et la naissance de l'âme." Pour que la lamentation s'adresse au cœur des gens de la lamentation et atteigne un but politique ou économique. Et les poètes andalous ont trouvé un environnement qui les a aidés à composer des poèmes en lamentation, lorsqu'ils virent que la mort s'approchait d'eux et enlevèrent des pères, des fils, des épouses, des rois et des présidents. Ce qui ne refuse, n'empêche ni ne repousse, certains d'entre eux étaient sincères dans leur lamentation, Et certains d'entre eux étaient des profiteurs, et beaucoup d'entre eux ont suivi le chemin des anciens étalons en lamentation.

Mots clés : élégie, élégie pour les poètes andalous, analyse stylistique pour étudier les modèles